

الاستعجال على سلاح المقاومة: معانٍ ودلالات

الدكتور محمد شقير

لم يتحرر إلى الان كل التراب اللبناني، ولم تتم استعادة جميع الأسرى، ولم تتوقف الانتهاكات الإسرائيلية للسيادة اللبنانية، ولم يتم الكشف عن قضية وجود الكثير من المخطوفين في السجون الإسرائيلية، ولم تتسلخ إسرائيل من عدوانيتها، ولم يحصل لبنان على ضمانات حقيقية وذاتية وفاعلة تمنع إسرائيل من الاعتداء على أراضيها وبنيتها... ومع ذلك يبادر البعض إلى الاستعجال لطرح قضية سلاح المقاومة وكأن سلاح المقاومة عبء على لبنان عليه أن يبادر بأية طريقة إلى التخلص منه أو كأنه يريد اعلان البراءة من تاريخ مقاوم قد تجاوزه الزمن! وأعجب ما في الأمر أنه في الوقت الذي لم يسترجع اللبنانيون جميع حقوقهم وأرضهم ولم يأمنوا على أرواحهم ودمائهم وممتلكاتهم ومع كون هذا الاستعجال في طرح قضية السلاح مضرراً بالمصلحة الوطنية والأمن القومي ومع كون إسرائيل تزيد من ترسانتها العسكرية وتعلن نياتها العدوانية تجاه لبنان بل وتمارس عدواناً دائماً على لبنان؛ يبادر البعض إلى إثارة أكثر من لغط سياسي حول المقاومة ودورها...

لقد أدى هذا السلاح دوره وما زال يؤدي في حماية لبنان وحماية بناء التحتية عندما عجزت كل المؤسسات الدولية وكل الدول التي تبدي اهتماماً استثنائياً الان في منع العدوان الإسرائيلي والاحتلال الإسرائيلي الذي ما زال مستمراً منذ عقود من الزمن والمجازر الإسرائيلية التي ارتكبت بحق الشعب اللبناني، بل إن بعض تلك الدول لم يبد اهتماماً بالام الشعب اللبناني والدماء اللبنانية التي نزفت في حين كان بعضها عوناً للاحتلال

الإسرائيلي على لبنان بل إن الشعب اللبناني كان يقتل بأدوات الحرب والدمار التي كان يرسلها هؤلاء إلى إسرائيل ومؤسسات القتل الإسرائيلية...

في كل هذا الزمن المظلم استطاعت المقاومة باخلاصها وعطائها ودماء أبطالها من تحرير معظم الأرض وهزيمة المحتل وإيجاد توازن رعب يمنع إسرائيل من معاودة العدوان واستباحة التراب اللبناني والدماء اللبنانية، لكن في خضم كل تلك التجارب والأوضاع يحاول البعض في لبنان أن يجعل من سلاح المقاومة اشكالية وأن يجعل من هذا السلاح الضمانة أزمة؛ فما الذي يعنيه هذا الاستعجال؟

هنا لا نريد أن نقف عند دلالات هذا التماهي مع المطالب الأميركية والمصالح الإسرائيلية وإن كانت مصلحة إسرائيل فيما يطرح غير خافية على ذي لب، لأنه عندما تشاهد إسرائيل أن هناك استعجالاً من قبل بعض الأطراف على سلاح المقاومة وأن هناك أطرافاً لبنانية تتعاطى بأكثر من طريقة سلبية مع هذا السلاح أو تشكك فيه وفي دوره فإن لهذا أمر تداعيات خطيرة على الأمن الوطني والقومي للبنان في مواجهة إسرائيل.

أولاً: هو يشجع إسرائيل على العبث بالأمن اللبناني في محاولة منها لزيادة الضغط السياسي المحلي على المقاومة ولإثارة اللغط أكثر حول قضية سلاح المقاومة.

ثانياً: يغري إسرائيل بتغيير قواعد المواجهة مع لبنان لصالحها لأنها قد تعتقد أن الظروف السياسية المحلية ليست لصالح المقاومة، وبالتالي هي تستطيع من خلال مغامرات جديدة أن تغير قواعد المواجهة مع لبنان بما يؤثر سلباً على الأمن الوطني اللبناني وعلى الحصانة الأمنية التي حققها لبنان في مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية.

ثالثاً: قد يغري هذا الأمر إسرائيل بمغامرة كبيرة مع لبنان بأن تقوم بعدوان كبير تسعى من خلاله إلى الضغط لنزع سلاح المقاومة طالما تعتقد أن الشروط السياسية الداخلية متوفرة للقيام بهكذا مغامرة.

وفي ظل ما تقدم، كيف يمكن أن يفهم هذا الاستعجال؟

أولاً: هل نظرة هؤلاء إلى سلاح المقاومة هي نظرة وطنية أم نظرة فئوية؟ بمعنى آخر فإن من ينظر إلى سلاح المقاومة نظرة فئوية لا يمكن له أن يرى فيه المصلحة التي يحققها للأمن الوطني اللبناني ولا يمكن له أن يبصر القدرة الردعية لهذا السلاح بوجه إسرائيل، ولا الحماية التي استطاع أن يوفرها للشعب اللبناني.

بل يمكن القول إن سلاح المقاومة بما يمثله من حصانة بوجه المشروع الإسرائيلي وعدوانيته أصبح معياراً يميز به بين وطني ينظر إلى الأمور نظرة وطنية وبين فئوي لا يرى إلا المصالح الفئوية ولا ينظر إلى بعين فئوية حتى وإن كانت هذه الفئوية تضر بلبنان وموقفه الدفاعي وأمنه الوطني.

إن ما نعنيه هو أن من يحاول العبث بسلاح المقاومة متجاهلاً الدور الذي يلعبه في حماية لبنان لا يمكن إلا أن يكون ذا نزعة فئوية تحول بينه وبين رؤية الدور الوطني الذي يقوم به هذا السلاح.

ثانياً: عندما يستعجل البعض على سلاح المقاومة وبأسلوب يفصح عن عدم تقدير لدورها ووظيفتها فإنما يدل ذلك على عدم عناية هؤلاء بالموقف الدفاعي للبنان بوجه إسرائيل وإنهم لا يعطون وزناً للمصلحة الوطنية التي تتطلب دعم المقاومة على أكثر من مستوى بدل محاولات اضعافها والحفر السياسي تحت أقدامها.

ثالثاً: إنه دليل على عدم حرص فعلي على السيادة الحقيقية وعلى الكرامة الوطنية، لأنه عندما نرى أن إسرائيل تعبت دائماً بالسيادة اللبنانية وتعتدي بشكل دائم على حرمة الأراضي والأجواء اللبنانية، وإن سلاح المقاومة هو الوسيلة التي استطاعت أن تحمي تلك السيادة وتصون حرمت الوطن؛ فإن الاستعجال على سلاح المقاومة مع تجاهل دوره في حماية السيادة؛ لن يفهم إلا على أنه استهانة بالسيادة الحقيقية وتهاون بالكرامة الوطنية.

هنا لا نريد أن نقول إن موضوع سلاح المقاومة يجب أن يبقى خارج دائرة الحوار بل ما نريد قوله إن الحوار في جميع ملبساته وحيثياته يجب أن يكون بطريقة يخدم الهدف من سلاح المقاومة ألا وهو حماية لبنان وتعزيز

موقفه الدفاعي وهذا يعني أنه ليس كافياً أن يكون الحوار في أسلوبه والياته منسجماً مع الهدف المذكور بل أيضاً في توقيته وشروطه الزمنية وظروفه الموضوعية وهذا يتطلب قبل أي شيء الاتفاق على هدف الحوار أنه هل هدف الحوار هونزع السلاح أم أن هدف الحوار هو حماية لبنان وتعزيز أمنه الوطني؛ فإذا تم الاتفاق على الهدف من الحوار يتم بعدها تحديد الظروف الموضوعية المناسبة والوقت المناسب لبدء الحوار وتفعيله وإكماله بما يخدم ذلك الهدف ويجنبنا الوقوع في سلبيات عديدة لا تتسجم مع الهدف المذكور.

وهنا قد نجد أن الاستعجال على طرح قضية سلاح المقاومة وبالطريقة التي يحصل فيها لا يخدم الهدف من الحوار بل يتنافى معه بما يضر بالأمن الوطني ويخدم بعض المشاريع والمصالح التي لن تكون إلا على حساب المصلحة الوطنية وأمن الشعب اللبناني.